

(أول ما خلق الله من الأرض مكة ومنها دحيت الأرض)

تاريخ مكة المكرمة عبر العصور

توطئة :

اختيرت مكة المكرمة في عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م من قبل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) - عاصمة للثقافة الإسلامية ، فهل هذا التكريم لمكة أم للمنظمة ؟ لا شك في أن للمنظمة الإسلامية (إيسيسكو) المعنية برقي وتطوير المدينة الإسلامية ، وفق رؤى وخصوصية إسلامية شفافة ، جهوداً محمودة لا تنكر، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل مكة المكرمة تحتاج إلى وسام ؟ قد لا يجد له متسعاً على صدرها المثلث بالأوسمة والنياشين - الدينية والدنيوية - لعل المنظمة الإسلامية - في هذا المقام - هي من تحتاج إلى وسام من مكة المكرمة تضعه على صدرها في يوم الفخر، كونها المدينة المقدسة العتيقة التي اختارها الله جل جلاله أول بيت جعله للناس مثابة وأما ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا ﴾ (١) حقاً من يكرم من ؟

الدكتور :
فهمي توفيق
محمد
مقبل*

* ليسانس آداب في التاريخ من كلية الآداب جامعة بيروت العربية. ١٩٧٤م.
دبلوم الدراسات العليا في الدراسات العربية والإسلامية - كلية الآداب من الجامعة نفسها ١٩٧٩م.
- دكتوراه في الأدب (تاريخ حديث) قسم الدراسات الشرقية جامعة مانشستر عام ١٩٨٣م.
- يعمل الآن استاذاً غير متفرغ في جامعة البتراء بالأردن.

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٥ .

الطريق

السنة الحادية عشرة

العددان : الثاني والثالث والأربعون

جمادى الآخرة - رمضان ١٤٢٩هـ

يونيو - سبتمبر ٢٠٠٨م

فحسب مكة أن من رحمها خلق الله الأرض ومنها دُحيت^(١) وكعبتها المشرفة التي تقع في وسط العالم هي سُرَّة الأرض ومركزها .. هذا يعني أن مكة هي أم الدنيا بحواضرها ومدنها وقراها وكل معمر منها، والعاصمة العالمية للأرض، وهي بالتالي أم الثقافات الإنسانية جميعاً، هي بحرها ومحيطها، ضحى شمسها وقمر ليلها، نجوم سمائها وأبجدية أرضها. والثقافة بكل ما تعنيه الكلمة من إرث حضاري تراثي معنوي ومادي بدأت خطاها الأولى من مكة، وآية ذلك كله ما تشهد به المآثورات التاريخية القديمة القائلة بأن أبانا آدم عليه السلام يوم هبط الأرض خارجاً من الجنة، تملكه خوف شديد، فرفع بصره إلى السماء وتوسل إلى ربه قائلاً: "رب مالي لا أسمع صوت الملائكة ولا أحس بهم" ١٩ فكان الجواب: "إنها خطيئتك يا آدم ... اذهب وابن لي بيتاً، وطف به واذكرني حوله، فطفق يبحث عن مكان يبني فيه الذي أمره ربه أن يبنيه، فانتهى به المطاف إلى وادي مكة، وبنى البيت العتيق، الذي أصبح منذ ذلك الزمن وإلى يومنا هذا وحتى يرث الله الأرض وما عليها، مكاناً مباركاً يحج إليه الناس من كل فج عميق طلباً للرحمة والغفران.

(١) جاء في الأثر: " أول ما خلق الله من الأرض مكة ومنها دُحيت الأرض"، انظر: تفسير الطبري. محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ج ٤ - بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م، ص ٨. انظر: أيضاً محمد عبد الغني. تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً - المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ٢٠٠١م، ص ٣٥. عبد اللطيف الحميد. "مكة المكرمة والثقافة الإسلامية"، في الدرعية (مجلة) (علمية تاريخية محكمة) العددان، ٣٤، ٣٥، الرياض، تموز (يوليو) وتشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٦م، ص ٤. سليمان القرعاوي. "مكة المكرمة إعجاز موقعها، وحرمتها، ومنزلتها، وتوسعتها"، في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (علمية محكمة) عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، لعام (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م). ص ٤-١٠.

أولاً - مكة المكرمة :

١/١- الجذور التاريخية - قداسة المكان والزمان :

تذهب الروايات التي تتحدث عن الجذور التاريخية لمكة إلى أبعد من ذلك، فتذكر أن الملائكة هم الذين بنوا بيت الله في هذا الموقع (مركز الأرض)؛ لتكون مزاراً ومطافاً لهم فيه، لا جرم أن مكة المكرمة تعد واحدة من أعظم وأكثر مدن الأرض وعواصمها مكانة وشهرة، ولم تحظ أي مدينة في العالم بمثل ما حظيت به مكة من تكريم، وكفيها أن الله باركها وجعلها أول مكان يعبد فيه من أبي البشر آدم عليه السلام من ثم أثرها (جلّ وعلا) على غيرها من بقاع العالم طُهرًا وقُدسية، وجعلها بعد حين من الدهر، قبلة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بعد أن أوحى الله لسيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) أن يقيما بناء البيت مرة ثانية ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (١).

مهما اختلف المؤرخون والرواة وأهل العلم والدين حول تاريخ ظهور مكة إلى الوجود، يبقى هناك اتفاق بينهم، بأن مكة المكرمة ليست عريقة في القدم فحسب، بل من أقدم مدن المعمورة - ما كان معلوماً منها ومجهولاً - وأن البيت الحرام الذي يعد اليوم واحداً من أعظم المساجد وأكبر دور العبادة على وجه الأرض- هو أول بيت وضع لأهل الأرض ليعبدوا الله عز وجل فيه وليهتدوا بفضله إلى الصراط الحق الصراط المستقيم، وأن واضع حجر الأساس لمدينة مكة الصغرى هو النبي إبراهيم عليه السلام؛ لتصبح مدينة مأهولة في عهد قصي (٢)

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ .

(٢) هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي (الجد الخامس للنبي محمد ﷺ) وزعيم قريش في عصره وكبيرها في مكة، لا يُعرف تاريخُ لوفاته أو ولادته ، لكن يرجح أنه عاش في ==

== القرن الخامس الميلادي (حوالي قرنين قبل البعثة المحمدية) قيل: هو أول من كان له ملك من بني كنانة. وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. توفي أبوه وهو طفل، فتزوجت أمه برجل من بني عذرة فارتحل معها إلى أطراف بلاد الشام، فترعرع وشب في حجره وسمي "قصياً" لبعده عن دار قومه، ويتفق المؤرخون على أن اسمه (الأول) عند ولادته كان "زيد" أو "يزيد". جمع شمل قبائل قريش بمكة؛ واستعان بكنانة وقضاة في قتال جرهم وخزاعة فحقق نصراً عليهما وأخرجهما من مكة؛ ليصبح سيد مكة، وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء. أما الحجابة : (فهي حجابة الكعبة أو سدانها أي خدمة المسجد الحرام) (فلا يفتح بابها إلا هو الذي يتولى خدمتها) والسقاية: (سقاية الحجاج). والرفادة: (إطعام الحجاج الفقراء بخاصة وإسعافهم) - وقد قام بالرفادة بعد قصي ابنه عبد مناف، ثم ابنه هاشم، ثم ابنه عبد المطلب، ثم أخوه العباس، واستمر الأمر على ذلك في الجاهلية والإسلام. والندوة: وهي دار الندوة شيدها قصي- وجعل بابها إلى الكعبة - لتكون داراً للشورى (نادياً لقريش) فيها كانت تتشاور قريش بأمورها، ويزوجون بناتهم، وكان لا يسمح بدخولها إلا لمن بلغ الأربعين. واللواء: وهي رئاسة القوى الحربية وتكون لمن بيده اللواء، يسلمونه إليه عند قيام الحرب. بالجملة كان الشرف والرياسة من قريش في الجاهلية في بني "قصي" لا ينازعونه ولا يفخر عليه فاخر إلى أن تفرقت الرياسة في بني عبد مناف. كانت وفاة قصي في مكة ودفن بالحجون (جبل بأعلى مكة) (مكان على بُعد ٣ كلم تقريباً من البيت الحرام). انظر: السيد عبد العزيز سالم . تاريخ العرب قبل الإسلام -٠ الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة، د. ت. ص ٣١٤-٣١٦. كذلك انظر : أحمد السباعي. تاريخ مكة - دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران - ط٦، ج ١ -٠ مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٩٨٤م، ص ٢٣-٢٦ و ٣٦ وما بعدها . صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم - بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - (البحث الفائز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م -٠ مكة المكرمة: مكتبة نزار ومصطفى الباز، ٢٠٠٣م، ص ٢٠-٢٣. خير الدين الزركلي. الأعلام، م ٥٠- ط ٤ -٠ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ص ١٩٨-١٩٩. ابن حزم (علي بن أحمد) الأندلسي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م). جمهرة أنساب العرب -٠ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص ١٤ وهنا وهناك . حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام ، ج ١ -٠ ط ٧ -٠ القاهرة : ==

ابن كلاب^(١) بن مرة بن كعب^(٢) بن لؤي وفي عهد قصي شهدت مكة توسعة كبيرة وعني بتنظيمها خير عناية، حتى أضحت في زمانه مدينة عامرة مستطيلة المساحة ذات شعاب واسعة.

١/٢ - مكة : موقعا :

تقع مكة المكرمة في الجانب الغربي من جزيرة العرب ، في بطن وادٍ ضيق طويل، من أودية جبال السّراة، غير ذي زرع، يسميه المكيون وادي إبراهيم، وعمرانها بيوتها منتشرة على امتداد هذا الوادي على شكل هلال يميل إلى الاستطالة - حيث يتجه جانباه نحو سفوح جبل قُيعقان غرباً ، وجبل أبو قُبيس شرقاً، ومن

== مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩م، ص ٥٧ وما بعدها؛ وقارن عبد الرحمن السنيدي، "رؤية النبي ﷺ لمستقبل دعوته في أثناء العهد المكي" في الدرعية مجلة علمية تاريخية محكمة العدان، ٣٤، ٣٥، الرياض، تموز (يوليو) وتشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٦م، ص ٢٦ وما بعدها . للتوسع والتفاصيل انظر : الدراسة العلمية المحكمة عن تاريخ قريش ومكة، لحسين مؤنس . تاريخ قريش - دراسة في تاريخ اصغر قبيلة عربية جعلها الإسلام أعظم قبيلة في تاريخ البشر - جدة : اندار السعودية، ١٩٨٨م.

(١) كلاب بن مرة (اسمه حكيم) من سلسلة النسب النبوي، وهو الجد الثالث لآمنة بنت وهب بن عبد مناف (أم رسول الله ﷺ) وهو أول من سمي الأشهر العربية الهلالية (القمرية). انظر : الزركلي، المرجع السابق، ج ٥، ص ١٩٨ و ٢٣٠. راجع عن نسبه القرشي، الكلبي، (أبو المنذر هشام بن السائب) (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م) جمهرة النسب؛ تحقيق ناجي حسن - بيروت : عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، ١٩٨٦م، ص ٢٥.

(٢) كعب بن لؤي، من سلسلة النسب النبوي. أول من سمي يوم الجمعة، بعد أن سن فيه الاجتماع بقومه، وكان اسمه (يوم العروبة). انظر : الزركلي، المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٢٨؛ راجع عن نسبه القرشي، الكلبي، المرجع السابق، ص ٢٢؛ وعن سلسلة النسب النبوي وسلسلة أنساب القبائل العربية بالتفصيل انظر : حسين مؤنس وآخرون . أطلس تاريخ الإسلام - القاهرة : الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٧م، ص ٨١ وما بعدها.

محلة المعابدة طولاً إلى محلة المسفلة جنوباً - تحيط به الجبال والتلال الجرداء والصخور الصلبة من كل جانب ؛ لتشكل حول مكة وكعبتها دائرة ، ومن أضخم جبال مكة وأعظمها أبو قُبَيْس، ويقع إلى الجهة الشرقية منها، ويطل على المسجد الحرام، ومن جبالها المعروفة قعيقعان، وفاضح، والمحصب، وثور، والحجون، وحراء، وتفاحة، والفلق.

وكانت المناطق المنخفضة نسبياً من ساحة مكة تسمى البطحاء، وكل ما نزل عن الحرم المكي يسمونه المسفلة، وما ارتفع عنه يسمونه المعلاة. ومكة تقع عند خط تقاطع درجتي العرض ٢٨/٢١ شمالاً، والطول ٥٤/٣٧ شرقاً وترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٨٠ متراً. هذا يعني أنها تقع ضمن سهل تهامة الساحلي الذي يمتد على طول ساحل البحر الأحمر من أقصى شماله عند خليج العقبة إلى نهايته الجنوبية عند باب المندب، أضف إلى ذلك أنها تمثل نقطة التقاء بين تهامة وجبال السروات^(١).

١/٣- مكة : مناخاً :

أما مناخ مكة وجوُّها فهو حار جاف تتفاوت حرارته بين ١٨ درجة في شهور الشتاء وبين ٣٠ درجة إلى ما يزيد على ٤٠ درجة في شهور الصيف، حيث ترتفع الحرارة فيها ارتفاعاً شديداً، وتكون دافئة في الشتاء، لوقوعها ضمن المنطقة المدارية الشمالية، ولتأثيرات مناخ البحر المتوسط والمناخ الموسمي الانتقالي وتأثير البحر الأحمر على مناخها نسبياً. رياحها في الشتاء شمالية غربية وفي الصيف

(١) انظر : سالم. المرجع السابق، ص ٢٩٧ وما بعدها، كذلك انظر : السباعي. المرجع السابق، ص ١٥. الحميد. المرجع السابق ص ٥ - ٦. القرعاوي. المرجع السابق، ص ٤ - ٥ . عبد الغني. المرجع السابق، ص ١٣٠ - ١٣١. انظر وقارن. صلاح الدين الشامي، وزين الدين عبد المقصود. جغرافية العالم الإسلامي - الإسكندرية : منشأة المعارف، ١٩٧٤م، ص ١٢ وما بعدها.

شمالية شرقية جافة، ولموقع مكة في وادٍ غير ذي زرع، لجأ أهلها إلى الاعتماد على غيرهم في حياتهم المعيشية وفي أقواتهم، الطائف والسراة بخاصة^(١).
١/٤- مكة : أسماء:

عرفت مكة وللدلالة على شرف مسمائها وسمو مكانتها بأسماء كثيرة، فمن أسمائها التي وردت في القرآن الكريم مكة وبكة، والبلد الأمين، ومن أشهر أسمائها، أم القرى، ولها أسماء أخرى منها أم رحم، والحاطمة، لأنها تحطم من استخف بها، والبيت العتيق، لأنه عتق من الجبابرة والرأس، لأنها مثل رأس الإنسان، والحرم الأمين، والقرية، والوادي، والبلدة، والبلد، ومعاد، وصلاح، والعرش، والقادس؛ لأنها تَقْدُسُ من الذنوب أي تَطْهَرُ، والمقدسة، والناسة، والباسة بالباء الموحدة لأنها تَبْسُ أي تحطم الملحدين.. ويروى أنها سميت مكة لقلّة مائها، من قول العرب (امتَكَ الفصيل ما في ضرع أمه أي امتصه مصاً شديداً) وقيل أيضاً لأنها (تَمَكُّ الذنوب) أي تذهب بها، وقيل سميت مكة لأنها تَمَكُّ الظالم (الجبار) فيها أي تنقصه وتُهْلِكُهُ، وقيل إنما سميت بكة لأن الأقدام تَبُكُّ بعضها بعضاً، كذلك لأنها تَبُكُّ (أي تدُقُّ) عنق الفاجر ورقاب الجبابرة الذين ييغون فيها، وفي اللسان العربي مكة هي بكة والميم بدل من الباء مثل ضربة لازم وضربة لازب. وروي أن بكة موضع البيت ومكة هي الحرم كله، وقيل أيضاً أن بكة الكعبة والمسجد، ومكة هي ذو طَوِيّ (الطَوِيّ) وهو البئر المطوية بالحجارة، (بطن الوادي) بأعلى مكة، وفيه قيل:

"إِنَّ الطَّوِيَّ إِذَا ذَكَرْتُمْ مَاءَهَا صَوَّبُ السَّحَابِ عَذُوبَةً وَصَفَاءً"

وهناك قول: إن العمالة عندما سكنوا مكة أطلقوا عليها اسم بكا (بَكَّة) وهي

(١) انظر : عبد الغني. المرجع السابق ، ص٩. كذلك انظر : سالم. المرجع السابق، ص٢٩٧ وما بعدها. السباعي، ج١، المرجع السابق، ص١٥. الحميد. المرجع السابق ص٥-٦. القرعاوي. المرجع السابق، ص٤-٥.

كلمة بابلية معناها البيت. وسماها الله - كما تقدم - بأَم القرى فقال: ﴿وَلْتُنْذِرْ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (١) وسماها تعالى البلد الأمين في قوله جل وعلا: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ * وَطُورِ سَيْنٍ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (٢) وقال عز من قائل: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حَلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٣) وقال عز وجل: ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (٥) وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٦) وقال تعالى أيضاً على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ (٧). ولعل اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أي مقدس، ثم تحول الاسم إلى مكة (٨).

١/٥ - مكة : اقتصاداً وثروات :

لا ريب أن العرب حتى في جاهليتهم، كانوا يرون مكة - منذ نشأتها - بقعة مقدسة، يشدون إليها الرحال من كل أرجاء جزيرة العرب، كما أن وادي مكة احتفظ بمكانته الحيوية كمحطة مهمة لمرور قوافلهم التجارية - بين اليمن وبلاد الشام خاصة - وسوق

(١) سورة الأنعام، الآية : ٩٢.

(٢) سورة التين، الآيات : ١-٣.

(٣) سورة البلد، الآيتان : ١-٢.

(٤) سورة الحج، الآية : ٢٩.

(٥) سورة المائدة، الآية : ٩٧.

(٦) سورة إبراهيم، الآية : ٣٥.

(٧) سورة إبراهيم، الآية : ٣٧.

(٨) انظر : سالم. المرجع السابق، ص ٢٩٤-٢٩٧. أيضاً السباعي. ج ١، المرجع السابق، ص ١٥، ١٦. عبد الغني. المرجع السابق، ص ١١-١٤. رؤوف الأنصاري. مكة المكرمة وعمارة المسجد الحرام، في الحياة (جريدة) العدد، ١٣٤٥٢ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠م، ص ٣٢. ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م). معجم البلدان؛ تحقيق فريد الجندي، ج ٥ - بيروت : دار الكتب العلمية، د. ت. ص ٢١٠-٢١٦.

رئيسية لهم لوقوعه وسط الطريق بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها من ناحية، فضلاً عن غناه بعيون الماء الوفيرة التي تحتاج إليها القوافل التجارية في حلها وترحالها بين اليمن جنوباً والشام شمالاً من ناحية أخرى، ومن المعروف أن قريشاً احتكرت منذ نهاية القرن السادس الميلادي، تجارة الهند بفضل جهود زعيمها هاشم بن عبد مناف^(١).

(١) هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، من قريش (نحو ١٢٧-١٠٢ق.هـ/ ٥٠٠-٥٢٤م). ولد في مكة. تولى عن أبيه السقاية والرفادة. سافر إلى الشام في تجارة فمرض في الطريق إليها، فغير وجهته إلى غزة (فلسطين) فمات فيها في ريعان شبابه، وبه يقال لغزة: "غزة هاشم" وإليه نسبة الهاشميين. على قدر بطونهم وأفخاذهم. يعد هاشم من أبرز من انتهت إليه السيادة في الجاهلية، ومن بنيه النبي ﷺ واسم هاشم عند ولادته كان "عمرو" إنما أطلق اسم هاشم عليه؛ لأنه أول من هشم الثريد لقومه في مكة:

عمرو العُلاهْشَمَ الثريدَ لِقَوْمِهِ وَرجالُ مَكَّةَ مُسْتَنُونَ * عجافُ

(مُسْتَنُونَ * أي قد أصابهم القحط - سنة لا نبات فيها ولا مطر). وكان هاشم (عمرو) هو أول من سَنَّ الرحلتين لقريش، للتجارة: رحلة الشتاء إلى اليمن و (الحبشة والعراق) ورحلة الصيف إلى بلاد الشام. يرجح أنه وصل إلى أنقرة (مدينة رومانية شرقية - بيزنطية قديمة، هي اليوم عاصمة الجمهورية التركية منذ العام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م) وهاشم (عمرو) بن عبد مناف (صاحب إيلاف قريش) أخذ لقريش العهد والأمان لإخوته الثلاثة وهو رابعهم، من حكام البلاد المختلفة، فأخذ لنفسه الأمان والعهد من قيصر الروم على حمايته في رحلة الصيف، وعبد شمس إلى الحبشة، وعبد المطلب إلى اليمن، ونوغل إلى فارس. وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه البلاد في ذمة هؤلاء الأخوة الأربعة، فأتسعت بهذه العلاقات التجارية بين أمراء مكة وغيرهم من قادة - البلاد البعيدة والقريبة - معيشة قريش. وقد امتنَّ الله عليهم بذلك القرآن (سورة قريش - لإيلاف قُريش). للمزيد من التفاصيل انظر : حسن إبراهيم حسن، ج ١، المرجع السابق، ص ٦٢-٦٣. كذلك محمد رشيد رضا . خلاصة السيرة المحمدية - وحقيقة الدعوة الإسلامية وولايات الدين وحكمه - ط ٢ - ٠ - دمشق ، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٩٨١م، ص ١٦ وما بعدها. سالم. المرجع السابق، ص ٢١٨. الكلبي، المرجع السابق، ص ٢٧. موفق الدين ابن قدامة المقدسي، (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٣م) . التبيين في أنساب القرشيين. تحقيق محمد الدليمي - ط ٢ - ٠ - بيروت : عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، ١٩٨٨م، ص ٢٧. الزركلي، المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٦. ابن حزم الأندلسي. المرجع السابق، ص ١٤.

(جد عبد الله والد النبي ﷺ) الذي يعد أول من سن رحلة قريش، (الإيلاف)^(١) رحلة الشتاء إلى اليمن (والحبشة والعراق) ورحلة الصيف إلى الشام ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٢).

"يا أيها الرجل المحوّل رحلهُ هلا نزلت بآل عبد مناف

الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف"

لا ريب أن مكة أدت - قبل الإسلام - دور الوسيط الناجح والمحاييد بين عالمين، فموقعها الجغرافي من ناحية، وحفاظها على حياديتها من ناحية أخرى، حقق لها مكانة عظيمة في هذا الميدان الاقتصادي، ويكفي دليلاً على ذلك، أن الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة) استعانت بتجار مكة الكبار من القرشيين، كوسطاء أمناء للتجارة، بنقل منتجات الهند والصين إلى أسواقها - كما تقدم - أن القرشيين عقدوا المعاهدات التجارية مع أمراء العرب في الجزيرة العربية، مثل شيوخ قيس وأقيال^(٣) اليمن وأمراء اليمامة، وملوك غسان والحيرة . هذا فضلاً عن الأتاوى التي كانت تفرضها قريش على التجار الأجانب، وعلى العرب الذين لا يرتبطون معها بحلف. من أهم هذه الضرائب ضريبة العشور، وفي الوقت الذي كان يقوم فيه تجار بلاد الشام يحملون معهم إلى مكة القمح والزيت والخمور ومصنوعاتهم المتنوعة، "كان لمترفيهم مجالس للسمر ينصبون لها الأرائك ويمدون فيها الموائد ويتفكهون بما طاب من ثمارهم ويتلذذون بفواكه الطائف الطازجة أو

(١) الإيلاف (العهد والأمان - إجازة مرور) - في العلاقات التجارية "الدولية" - وهو العهد الذي أخذه، هاشم بن عبد مناف له وإخوته، من ملوك الدول القريبة والبعيدة من مكة.

(٢) سورة قريش، الآيات : ١-٤ .

(٣) الملك من ملوك حِمْيَر . سمي بذلك؛ لأنه إذا قال قولاً نفذ قوله. انظر : المنجد في اللغة والأعلام - ط ١٤ - بيروت : دار المشرق، ١٩٨٦م، ص ٦٦٣ ، (القسم الخاص في اللغة).

مجففات الشام وفلسطين المستوردة لمتاجرهم ويعرفون طعام الفالودج (حلوى فاخرة تخلط مع العسل) نقلاً عن الأمم المجاورة^(١). كان تجار الجنوب يحملون معهم حاصلات الهند من ذهب وأحجار كريمة وعاج وخشب الصندل والتوابل والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والأرجوان والزعفران والأواني الفضية والنحاسية، هذا إلى جانب ما كانوا يحملونه معهم من منتجات أفريقيا الشرقية واليمن كالعطور والأطياب وخشب الأبنوس وريش النعام واللبان والأحجار الكريمة والجلود^(٢).

وقد وشت هزيمة القرشيين في بدر بأثريائها المتخمين بالثراء، بدفعهم مبالغ كبيرة فدية لأسراهم في بدر، وقد عُرِفَت أسرة بني مخزوم^(٣) من الأسرات المكية المشهورة بالثراء الفاحش، ولعل الوليد بن المغيرة^(٤) (ت ٦٢٢هـ / ٦٢٢م) كان أثرى شخصيات هذه الأسرة. وكان لتجار مكة في الوقت نفسه تجارة رابحة مع الحبشة والصومال تتم بواسطة طريق بحري، حيث كان لمكة ميناء على البحر الأحمر يعرف

(١) السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ٤٣. عن النواحي الأدبية والعلمية والفنية في المجتمع المكي قبل الإسلام، انظر : المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٤-٥٢.

(٢) انظر : سالم. المرجع السابق، ص ٣٠٥-٣١٤. أيضاً السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ٤٠-٤٤.

(٣) قرشيون من عرب الشمال، فرع من كنانة، من كبار تجار قريش وأثريائها، قاتلوا رسول الله ﷺ في بدر وأحد والخندق، ثم عاهدوه على الإسلام بعد فتح مكة وصدقوا العهد. انظر: ابن قدامة. المرجع السابق، ص ٩٨ وهنا وهناك انظر : الفهرس، ص ٥٦٦. مؤنس. أطلس. المرجع السابق، ص ٨١ وبعدها؛ المنجد، المرجع السابق، ص ٦٤١.

(٤) من بني مخزوم (والد سيف الله خالد ابن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) من كبار أشراف قريش وقضاتها وأثريائها في الجاهلية. جاهر بالعداء للدعوة الإسلامية، (عن وفاته) انظر : ابن قدامة، المرجع السابق، ص ٢٩٣-٢٩٤ هامش ٣. وقارن عبد السلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام - ط ١٠ - بيروت : مؤسسة الرسالة : الكويت : ودار البحوث العلمية، ١٩٨٤م، ص ٦٠ انظر : الفهارس، ص ٣٩٩. المنجد، المرجع السابق، ص ٧٤٤.

بميناء الشعبية. أما العملة التي عرفتها مكة والحجاز عموماً كانت الدينار والدرهم^(١) ولعل من أهم الصناعات التي اشتغل بها أهل مكة، صناعة الأسلحة من سيوف ودروع ورماح ونبال وسكاكين، كذلك صناعة الفخار من أباريق وصحاف وقدر، فضلاً عن صناعة الأسرة والأرائك، ولصالات أهل مكة التجارية بالشعوب والقبائل والأمم القريبة والبعيدة، ازدادوا فهماً بأهمية التجارة البينية والدولية مع تأثرهم واقتباسهم للمظاهر الحضارية من اجتماعية وثقافية التي عرفوها من الروم والفرس^(٢).

ثانياً - مكة المكرمة :

١/٢ - فضائلها ومكانتها الدينية والتاريخية - قصة بناء الكعبة المشرفة

لا غرو في أن مكة المكرمة كانت عند العرب قبل الإسلام من أبرز الأماكن الثقافية والتجارية وأهم مدنها قداسة وعراقة، وهي اليوم عند المسلمين من كل جنس ولون، إلى جانب المدينة المنورة والمسجد الأقصى المبارك بالقدس - ثالث المساجد في الإسلام من حيث القداسة - ^(٣) أعظم مدينة وأهم الديار قدسية في أرجاء

(١) الدينار (ديناريوس) والدرهم (دراخمة) الأولى مشتقة من اللاتينية والثانية مشتقة من اليونانية وهما اسم لوحدة نقدية (فضية أو ذهبية) وقد أخذ العرب الدينار عن الفرس والدرهم عن الروم، الإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة). هذا وقد جاء ذكر الدينار والدرهم في القرآن الكريم في سورة آل عمران : الآية: ٧٥ : وفي سورة يوسف : الآية ٢٠ . للمزيد انظر : سالم. المرجع السابق، ص ٣١٨ .

(٢) انظر : سالم. المرجع السابق، ص ٣١٢ - ٣١٤. أيضاً السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ٤٤ وما بعدها. موسوعة المعرفة العالمية: ترجمة دار الأهرام، م ٠٩ - القاهرة: الناشر دار ترادكسيم، جنيف، دت. ص ١٥٦٩ - ١٥٧١ .

(٣) عن فضائل مدينة القدس التي خصها الله عز وجل بالقداسة والتعظيم، انظر: ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن) (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) . فضائل القدس: تحقيق جبرائيل جبور - بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م. عن عروبة فلسطين والقدس وإسلاميتها، انظر: فهمي مقبل. حق العرب والمسلمين في القدس وفلسطين - عمان: دار روائع مجدلاوي، ٢٠٠٣م. ص ٤٢ - ٦٠ خاصة.

المعمورة كافة^(١). ونقرأ في تاريخ مكة الموهل في القدم، أن إبراهيم عليه السلام الذي هاجر من أور في العراق في رحلة طويلة ليصل أرض كنعان في فلسطين، من ثم ليواصل الرحلة إلى مكة المكرمة ترافقه زوجته هاجر وولده إسماعيل، حيث أسكنهما عند بيت الله الحرام أو الكعبة التي اشترك مع ابنه إسماعيل في بنائها؛ ليصبح من يومئذٍ أول مسجد عرف في تاريخ البشرية، وهو البقعة نفسها التي انفجرت منها عين زمزم؛ ليحيى الله بها من جديد هذه البقاع المقدسة ولتهوي أفئدة من الناس إليها من كل المعمورة، استجابة من الله سبحانه وتعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام الذي سأل ربه عز وجل قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٢).

من وحي ما تقدم، فإن بعض المحدثين والمؤرخين القدماء، يتفقون على أن إبراهيم عليه السلام قال لابنه إسماعيل: "إن الله تعالى قد أمرني أن أبني له بيتاً هنا"، فوق الربوة الحمراء القائمة قرب بئر زمزم (بئر إسماعيل) وطلب من ابنه أن يعينه في بناء البيت، فلم يزل إبراهيم يحفر حتى وصل إلى القواعد، في ذلك يقول الله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣) ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾^(٤) وفي هاتين الآيتين الكريمتين - عند المفسرين- خير دليل على أن قواعد البيت كانت مبنية قبل إبراهيم عليه السلام وقد

(١) انظر: عبد الله الديرشوي "الخصائص الكبرى لمكة المكرمة"، في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، (علمية محكمة) عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، لعام (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ص ٨٩ وما بعدها. انظر: أيضاً السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ١٧ وما بعدها.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٤) سورة الحج، الآية: ٢٦.

هداه الله إليها وبوئى لها. أي أن الأساس الأول للبيت كان موجوداً والبناء الأول له كانت قواعده قائمة بوضوح على عهد إبراهيم عليه السلام^(١).

كما ترى هذه المصادر في الوقت نفسه أن إبراهيم عليه السلام رفع هذه القواعد بعد طوفان نوح عليه السلام وقد وقى الله قواعد بيته وأساسه الأول من هذا الطوفان المغرق، يستدل من هذا أيضاً أن الكعبة كانت موجودة قبل عهد نوح عليه السلام، الأمر الذي يرجح - كما سبق ذكره - أن واضع حجر الأساس في بناء البيت العتيق آدم عليه السلام أو الملائكة! ومهما يكن من أمر، فإن إبراهيم عليه السلام هو رافع القواعد من البيت، وعندما ارتفع البناء، أتى إبراهيم عليه السلام بحجر ليقف عليه أثناء بناء الكعبة، فسمي الحجر (مقام إبراهيم) وبعد أن أتم إبراهيم وابنه إسماعيل البناء - منذ أكثر من أربعة آلاف سنة - أمر الله عز وجل نبيه إبراهيم عليه السلام فقال : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢) فلم يزل منذ رفعه الله معموراً^(٣).

(١) انظر وقارن عبد الغني. المرجع السابق، ص ٤٣-٧٢. انظر: أيضاً السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ١٨-١٩.

(٢) سورة الحج، الآية : ٢٧.

(٣) انظر: عبد الغني. المرجع السابق، ص ٣٤-٤٢، انظر: كذلك سالم. المرجع السابق، ص ٣١٤. السباعي، المرجع السابق، ج ١، ص ١٧-١٩. عن مقام إبراهيم عليه السلام والحجر الأسود والتعريف به والمؤلفات عنه، انظر: سائد بكداش. فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم - وذكر تاريخهما وأحكامهما الفقهية وما يتعلق بهما - ط ٥٠٠ - بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٣م، راجع هنا ص ١٠١ وما بعدها؛ عبد الغني، المرجع السابق، ص ٤٢-٤٥. عبد الله الديرشوي. "فضائل مكة المكرمة"، في الحكمة (مجلة) (علمية شرعية محكمة) العدد ٣٢، مانشستر (إنجلترا) والمدينة المنورة، ٢٠٠٦م، ص ١٧٥ - ١٧٨. موسوعة المعرفة، ٩م، المرجع السابق، ص ١٦٠١-١٦٠٣. للمزيد عن تاريخ مكة أيضاً انظر: المرجع نفسه، ص ١٦٣٣-١٦٣٥.

٢/٢ - المرات التي أُعيد فيها بناء الكعبة :

في هذا السياق ذكر الأزرقى: بأن الكعبة بنيت عشر مرات : (الأولى) بناية الملائكة (الثانية) بناية آدم (الثالثة) بناية شيث ابن آدم (الرابعة) بناية إبراهيم وإسماعيل (الخامسة) بناية العمالقة (السادسة) بناية جُرهم^(١) (السابعة) بناية قصي (الثامنة) بناية قريش (التاسعة) بناية ابن الزبير (العاشر) بناية الحجاج. مما يجدر ذكره في هذا السياق، أن الكعبة بنيت للمرة الحادية عشرة عام (١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م) في عهد السلطان العثماني مراد الرابع (١٠٣٣-١٠٥٠هـ / ١٦٢٣-١٦٤٠م) وللمرة الثانية عشرة عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢-١٤٢٦هـ / ١٩٨٢-٢٠٠٥م) أي بعد مرور حوالي ٣٧٥ عاماً على بناء السلطان العثماني مراد الرابع^(٢).

(١) لم يتوصل المؤرخون إلى تاريخ يؤرخون فيه عن كيفية قدوم جُرهم إلى مكة وحلولهم محل العماليق الذين كانوا يسكنونها قبل قدوم إسماعيل عليه السلام الذي تزوج امرأة جُرهمية كما هو معروف، ويرى المؤرخون أن جُرهم قبيلة عربية قديمة جاءت من اليمن منها البائدة والعاربة. انظر : سالم. المرجع السابق، ص٣١٤. كذلك انظر : السباعي. المرجع السابق، ص١٨-١٩؛ المنجد. المرجع السابق، ص٢١٢.

(٢) انظر : الأزرقى، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ / ٨٥٤م) في كتابه أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: تحقيق رشدي ملحس، ج ١ - ط ٨ - مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة، ١٩٩٦م، ص٣٥٥. انظر : أيضاً عبد الغني. المرجع السابق، ص٤٢. السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص١٧ وما بعدها و ٢٧-٢٨ و ٤٧٩-٤٨٣. القرعاوي. المرجع السابق، ص٢٦ وما بعدها؛ وانظر: الدراسة العلمية الموسعة لحسن الباشا. موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية - بيروت: دار أوراق شرقية : القاهرة : ومكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٩م. عن تاريخ مكة بعيون غربية انظر : ك. سنوك هورخرونيه. صفحات من تاريخ مكة المكرمة: ترجمة علي الشيوخ، في جزأين - الرياض : دار الملك عبد العزيز، ١٩٩٩م، الجزء الأول ، ص٦٥ وما بعدها خاصة.

٢/٣- مكة: المنزل والمسكن البشري الأول في حقب زمنية مختلفة - وكشف بئر زمزم:

وترى هذه المصادر أيضاً أن أول من سكن مكة في غابر الأزمان هم من العمالقة، ثم خلفتهم قبائل جرهم اليمنية وبقياء من الأمم البائدة، وفي عهد جرهم قدم إلى مكة - كما رأينا - إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر وابنه إسماعيل الذي ترعرع وسط قبيلة جرهم، فعرف لغتهم وتزوج منهم، واحتل مكانة مهيبة بينهم، وبقيت لقبيلة جرهم الزعامة على مكة والكعبة (البيت الحرام) نحواً من ثلاث مئة سنة، حتى تغلبت عليهم قبيلة خزاعة اليمنية، ثم لتنتزع قريش التي قويت شوكتها -حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي- السيادة من خزاعة على البيت الحرام؛ ليصبح زعيم قريش قصي بن كلاب الرئيس الديني بانتقال حجابة (سدانة) الكعبة إليه، وهو نفسه الذي بنى دار الندوة (دار الشورى)؛ لتكون مركزاً لاجتماع القرشيين للتشاور في شؤونهم العامة^(١).

بعد وفاة قصي انتقلت الرئاسة إلى ابنه عبد الدار، إلى أن تفرقت الرئاسة في أبناء عبد مناف (شقيق قصي) فتصدرها هاشم بن عبد مناف، وانتهت الزعامة في قريش بعد وفاة هاشم إلى ابنه عبد المطلب^(٢) المعروف باسم شَيْبَةَ الحَمْد، الذي

(١) سالم. المرجع السابق، ص ٣١٤-٣١٩. كذلك عبد الغني، المرجع السابق، ص ٤١-٤٢.
(٢) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحارث، - اسمه: شَيْبَةُ الحَمْد - وَكُنِيَ بـ (عبد المطلب) "اللقب الذي غلب عليه" بعد أن أخذه عمّه (المطلب) من أخواله بني النجار. ومما يجدر ذكره أنه كان (وحيد والديه) (ت نحو ٤٥ق. هـ/ ٥٧٩م) وهو جد النبي ﷺ حيث كفله ورعاه سنتين، ثم توفي بعد أن أوصى به أبا طالب عمّه، الذي أحاطه برعاية تفوق ما يحيط بها الوالد ولده وأهله. كان عبد المطلب زعيم قريش في الجاهلية، وأحد أبرز سادات العرب وأشرفهم في عصره. ولد عبد المطلب في المدينة وعاش في مكة. اشتهر عنه رجاحة العقل، وفصاحة اللسان، وحضور القلب. أحلّه قومه مكانة رفيعة، وكانت له السقاية والرفادة، يتوارثها أبناؤه إلى اليوم، أكرمهم الله وقريشاً بأن نصرهم على أبرهة الحبشي في موقعة (يوم

آلت إليه الرفادة (إطعام الحجاج أيام الموسم وسقايتهم) ظلت سدانة الكعبة في بني عبد المطلب يتوارثونها في الجاهلية والإسلام إلى اليوم^(١).

ومن أبرز أعمال عبد المطلب كشف بئر زمزم (بئر إسماعيل) وإعادة حفرة سنة (٥٤٠م) بعد أن رأى في منامه أن يحفر زمزم في المكان الذي هي فيه^(٢)، وكانت زمزم طُمِسَتْ أيام جُرْهُم؛ بيد أنه كان لوجودها بجوار الكعبة حافز لجذب القبائل وسكنهم حول البيت الحرام منذ زمن قديم، وتتفق الروايات في الحديث عن معجزة زمزم، أنه لما نفذ الماء والطعام وبدأ بكاء - ابن هاجر - إسماعيل يتعالى، طفقت هاجر تهول بين جبلي الصفا والمروة، حتى إذا عادت تتفقد ولدها إسماعيل وجدته يصارع الموت عطشاً، وما أن أتمت هرولتها (السعي) سبع مرات، إذا بجبريل عليه السلام أمامها،

الفيل) وهم مشركون! كان لعبد المطلب أولاد كُثُر، أشهرهم أبو طالب والعباس وحمزة وعبد الله (والد الرسول ﷺ)، وقد زوج عبد المطلب (شَيْبَةَ الْحَمْد) ابنة عبد الله من أَمَنَةَ بنت وَهَبِ ابْنِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ. توفي عبد المطلب بمكة المكرمة عن عمر يناهز ثمانين عاماً. انظر : رضا. المرجع السابق، ص ١٧. الزركلي. المرجع السابق، ج ٤، ص ١٥٤. الكلبلي. المرجع السابق، ص ٢٧-٢٨. ابن قدامة. المرجع السابق، ص ٥٦ وانظر فهرس الأعلام ص ٦٣٣، وللمزيد انظر : ابن حزم الأندلسي. المرجع السابق، ص ١٤.

(١) في حديث ابن عباس: «كَانَ عَدْنَانُ وَمَعْدٌ وَرَبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ وَخَزِيمَةٌ وَأَسَدٌ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا تَذْكُرُوهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ». صدق رسول الله ﷺ القائل: «النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ». انظر : سالم. المرجع السابق، ص ١٤٠-١٤٢، ٣١٥-٣١٨. السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢-٢٥.

(٢) للدراسة والتوسع حول فضل ماء زمزم وتاريخه، انظر : سائد بكداش. فضل ماء زمزم - وذكر تاريخه وأسمائه وخصائصه وبركاته ونية شربه وأحكامه والاستشفاء به وجملته من الأشعار في مدحه - ٠ ط ٠ - بيروت : دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤م، ص ٢٩ وما بعدها، ص ٣٦، ٣٩ وما بعدها. عن فضل وأسماء بئر زمزم وكشفه انظر : بكداش. المرجع السابق، ص ٣٦-٣٧ و ٦٢ وما بعدها. انظر : كذلك عبد الغني. المرجع السابق، ص ٧٧-٧٩، ٨٢-٨٤. سالم. المرجع السابق، ص ٣٠٠. السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥-٢٦.

يضرب الأرض بقدمه ، وقيل إن إسماعيل ضرب الأرض بقدمه ؛ فنبع الماء العذب من الأرض لتظهر إلى الوجود بئر زمزم أو (بئر إسماعيل) وهنا سقت هاجر طفلها، لكنها في الوقت نفسه تملكها الخوف من طغيان الماء على طفلها، فأخذت تقول: "زَمْي يا مباركة زَمْي"، وجعلت تحوطه (أي طفلها) بالتراب لئلا يذهب سيل الماء المتدفق به، ويعتقد أن تسمية هذا البئر (العين) بزمزم جاءت من هذه الكلمات لهاجر^(١).

قد جاء عن زمزم في الحديث الشريف: «خَيْرُ ماءَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ماءُ زَمْزَمَ فِيهِ طَعَامٌ طَعْمٌ وَشِفَاءٌ سُقْمٌ»، وقال ﷺ: "إِنْ شَرِبْتَ مِنْ ماءِ زَمْزَمَ تَرِيدُ الشِّفَاءَ شَفَاكَ اللَّهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِظْمًا رَوَّاكَ اللَّهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لَجُوعٍ أَشْبَعَكَ اللَّهُ"، وفي حديث أن الله عز وجل يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة وتغور المياه غير مياه زمزم، "وإنَّها في كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَرَابُ الْأَبْرَارِ..."^(٢).

ثالثاً - مكة : المشاهد التاريخية الكبرى :

٣/١ - عبد المطلب وأبرهة الأشرم :

من الأحداث التاريخية الكبرى في عهد عبد المطلب محاولة أبرهة (الأشرم) (أبو يكسوم) حاكم اليمن من قبل النجاشي (ملك الحبشة) هدم الكعبة سنة (٥٧٠م) أو في (٥٧١م)^(٣) قاصداً أن يجذب الحجاج العرب إلى القليس (كنيسة كبيرة) بناها

(١) انظر : بكداش . فضل ماء زمزم، ص ١٤. أيضاً عبد الغني. المرجع السابق، ص ٧٧-٧٩.

(٢) للتفاصيل انظر : بكداش . فضل ماء زمزم ، المرجع السابق، ص ٨١ وما بعدها .

(٣) المعروف بعام الفيل حيث أخذ العرب يؤرخون بهذا العام لأحداثهم، وفيه يؤرخون أيضاً مولد الرسول ﷺ ، وظلوا على ذلك حتى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) حيث استبدل به هجرة الرسول ﷺ الذي يوافق (غرة شهر المحرم من السنة الأولى للهجرة ١٦ تموز (يوليو) ٦٢٢م). انظر : المنجد . المرجع السابق، ص ٧. وقارن سالم. المرجع السابق، ص ١٣٩ وما بعدها .

أبرهة نفسه بصنعاء، فحشد لهذا الغرض جيشاً كبيراً تتقدمه الفيلة الضخمة .
اختلف المؤرخون في عددها فمنهم من قال: إن عددها اشأ عشر فيلاً أو ثلاثة عشر
فيلاً، وأوصلها بعضهم إلى الألف فيل - على أي حال وصل أبرهة بجيشه وفيله
وعسكر على مشارف مكة، فأبى الفيل الرئيس الذي كان يمتطيه أبرهة بالتقدم،
وحاول الأحباش جهدهم مع الفيل للتقدم إلى الأمام، وكلما وجهوه نحو الكعبة توقف
وَبَرَكَ، وإذا وجهوه نحو اليمن أسرع مهرولاً باتجاهها، وفي اللحظة الحاسمة تدخلت
العناية الإلهية، فأرسل الله سبحانه وتعالى دفاعاً عن بيته (الكعبة المشرفة) الطير
الأبائيل؛ لتُمنى الحملة بهزيمة نكراء مشهودة ولتظل مكة ولتبقى عذراء عصية على
الغزاة من قوى الشر، وهي التي لم تخضع يوماً ولن تخضع لأي معتد غاشم، لن
يستطيع أبداً (بإذن الله) أن يخرق أرض مكة أو يبلغ جبالها طولاً، وقد ذكر القرآن
الكريم هذا الحدث التاريخي في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ *
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ *
فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (١) .

لقد زاد هذا الحدث التاريخي في تقديس العرب وإجلالهم لمكة و(كعبتها
المشرقة) وأصبحت عندهم رمزاً لاستقلالهم وعزَّتْهم وقوتهم، في الوقت نفسه ارتفع
شأن قريش وزعيمها (سيد مكة) عبد المطلب بعد إخفاق هذه الحملة الهالكة.. ومن
مكرور القول، أن لقاءً تم بين عبد المطلب وأبرهة، فسأل أبرهة عبد المطلب عن
حاجته، فقال عبد المطلب: "حاجتي أن ترد إلي مئتي بغير أصبتها لي"، فرد أبرهة:
كنت أعجبتي حين رأيته، ثم زهدت فيك حين كلمتي، تكلمني في مئتي بغير
أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك وقد جئت لهدمه لا تكلمني فيه" قال

(١) سورة الفيل، الآيات : ١-٥.

عبد المطلب: "إني أنا رب إيلي وإن للبيت رباً يحميه"، وهكذا كان وسيكون... وخرج عبد المطلب من عند أبرهة غاضباً يردد شعراً:

"يَا رَبَّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبَّ فَأَمْنَعُ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنْ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ أَمْنَعُهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قَرَاكَ" (١)

٣/٢ - مكة : ولادة المصطفى ﷺ وانبلاج نور الإسلام - نور الحق والهداية :

في وسط أحداث جسام وفوضى عارمة، وجهالة جهلاء، وظلمات فوقها ظلمات أحاطت بجزيرة العرب من كل جانب؛ انبلاج نور الحق والهداية، بمولد سيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ وكانت ولادته على الأرجح في الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول الموافق للعشرين من شهر نيسان (إبريل) ٥٧٠ أو ٥٧١م) ليصوغ للبشرية تاريخاً مشرقاً جديداً، حاملاً رسالة التوحيد، على غير مثال سابق أو لاحق، مبلغاً عن رب العالمين الأمانة، ناصحاً الأمة، وكان ومازال وسيبقى في عظيم خلقه، وحكمته، وشجاعته، وصدقه، وأمانته، وسمو أدبه، ورفيع ذوقه، ومناقبه الشريفة التي لا تُحصى، المثل الأعلى والقُدوة الأسمى والأُسوة الحسنة للناس كافة.

"مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الْأَعْرَابِ وَالْعَجَمِ مُحَمَّدٌ خَيْرٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُضَرٍ مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسُلِ اللَّهِ كُلِّهِمْ"

مع ظهور دعوة الحق والهداية الإلهية، ارتقت مكة وتربعت على قمة المجد وذروته وحازت إلى الأبد المرتبة الأولى مكانة ولا أقدر في العالمين العربي والإسلامي، وفي كل صقعٍ من أصقاع الأرض فيه مسلم. بعد أن أصبحت قبلة

(١) انظر : سالم. المرجع السابق، ص ١٣٩-١٤١. عن حملة أبرهة على مكة انظر : المرجع نفسه، ص ١٣٩ وما بعدها. انظر كذلك: عبد الغني. المرجع السابق، ص ١١٣. السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ٢٦-٢٧.

المسلمين يولون وجوههم إليها خمس مرات في اليوم واليلة عند أداء كل صلاة، ويشدون الرحال إلى حرمة الشريف (الكعبة المشرفة) من شتى أرجاء المعمورة. وقد جعل الله من هذه المعجزة رابطة وعروة وثقى لا انفصام لها، بين بيته الحرام بمكة، والمسجد الأقصى بالقدس^(١)، عندما أسرى بالنبي ﷺ حيث عرج منه إلى السموات العلا، وقد خلد هذا الحدث التاريخي الخارق - الذي تم قبل الهجرة في السابع والعشرين من رجب - القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

عن هذه المعجزة الخالدة جاء في قصيدة البردة للإمام البوصيري (محمد سعيد شرف الدين) (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م):

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ	كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاغٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نَلَيْتَ مَنْزِلَةً	مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تَدْرَكَ وَلَمْ تُرَمِ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ	فِي مَوْجِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ
بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا	مِنْ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ
لَمَّا دَعَا اللَّهَ دَاعِينًا لِبَطَاعَتِهِ	بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

وجاء عن هذه المعجزة في قصيدة "نهج البردة" التي نظمها أمير الشعراء أحمد شوقي (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) على نهج بردة البوصيري:

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا، إِذْ مَلَائِكُهُ
وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ

(١) مقبل. المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.

لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التَّفَوُّا بِسَيِّدِهِمْ
كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ، أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ
صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلِّ ذِي خَطَرٍ
وَمَنْ يَفُزْ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمُمْ
جُبْتَ السَّمَوَاتِ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ
عَلَى مُنَوَّرَةِ دُرِّيَةِ اللُّجَمِ
مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي، وَصَنَعَتُهُ
وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّكِّ وَالتُّهَمِ
حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا
عَلَى جَنَاحٍ، وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمٍ

عندما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة كان يتجه في صلاته - في أول الأمر - إلى بيت المقدس (المسجد الأقصى) بفلسطين وكان عليه الصلاة والسلام راضياً كل الرضا بأمر الله، بالاتجاه في صلاته إلى المسجد الأقصى، على الرغم من ذلك ظلت الكعبة المشرفة (مكة) أحب بقاع الأرض إلى قلبه نبض فؤاده وهدأة وجدانه، كونها البيت الأول الذي أقيم لعبادة الله، ينسجم هذا الشعور الفطري الصافي مع قوله عليه الصلاة والسلام: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجتُ منك ما خرجتُ"^(١). وفي شعبان من السنة الثانية بعد الهجرة أكرم الله أكرم الخلق أخلاقاً فولاه قبلة يرضاها، عندما نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) انظر : الديرشوي. فضائل مكة المكرمة، المرجع السابق، ص ١٥٣.

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَرُؤُا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ من وقتئذٍ صارت الكعبة قبلة المسلمين السرمدية حتى يرث الله الأرض ومن عليها (٢).

٣-٣ مكة : الفتح المبين :

عندما دخل الرسول ﷺ مكة فاتحاً مردداً قول الله عز وجل : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٢) قام بتطهير الكعبة من الأصنام والأوثان والصور، وتسابق المسلمون إليها فطرحوها أرضاً تحطيماً وتهشيماً، وقصد النبي ﷺ صنماً بجانب الكعبة فأخذ يطعن في عينه ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٤) وبعد أن صلى عليه السلام في الكعبة خطب في قريش التي ملأت المسجد صفوفاً تنتظر ماذا يصنع بها (النبي الكريم) ﷺ فقال: "لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده... ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ثم أضاف: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته ﴿لَا تَرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (٥) اذهبوا فأنتم الطلقاء" (٦).

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤ .

(٢) انظر : الديرشوي. فضائل مكة المكرمة، المرجع السابق، ص ١٥٢ وما بعدها.

(٣) سورة الفتح، الآيتان : ١ ، ٢ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٨١ .

(٥) سورة يوسف ، الآية : ٩٢ .

(٦) انظر : المباركفوري. المرجع السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧، كذلك مؤنس. أطلس. المرجع السابق، ص ٩٨ وما بعدها؛ السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ٥٩. موسوعة المعرفة، ٩، المرجع السابق، ص ١٦١٨-١٦١٩ .

رابعاً - مكة :

٤/١ - الحرم الشريف موقع القلب منها - وقصة الحجر الأسود:

يحتل الحرم الشريف موقع القلب من مكة، ومركزها الرئيس، وهو أول الحرمين وثاني القبليتين، والكعبة المشرفة (بيت الله) تقع وسط الحرم المكي أرض الله الحرام، وهي عبارة عن بيت صغير مكعب (مربع) البنيان تقريباً ومن هنا جاء اسم الكعبة، وهو مبني بالحجارة الزرقاء الصلبة المائلة إلى اللون الرمادي، تُغطى بستار من الحرير الأسود موشى بإزار من آيات القرآن الكريم، وله أربعة أركان (الأول): ركن الحجر الأسود أو (الأسعد)^(١) ويقع ما بين الشرق والجنوب - يرتفع متراً واحداً عن الأرض - ومنه يبتدئ الطواف بمثابة تحية للمسجد. و(الثاني): الركن الشامي ما بين الشرق والغرب، و(الثالث): الركن الغربي ما بين الشمال والغرب، و(الرابع): الركن اليماني ما بين الغرب والجنوب. ومن معالم الحرم الباقية حائط البيت (الكعبة) حجر إسماعيل. أما "الملتزم" وهو موضع استجابة الدعاء فيقع بين الحجر الأسود وباب الكعبة المشرفة^(٢).

من اللافت أن الكعبة ظلت على البناء الذي رفعه إبراهيم عليه السلام حتى آلت السيادة على البيت إلى قصي بن كلاب، فبناها من جديد. وأذن لطوائف قريش أن يبنوا بيوتاً حول الكعبة من جهاتها الأربع، وقال لهم: "إنكم إن سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب، ولم تستحل قتالكم، ولا يستطيع أحد إخراجكم"^(٣). وقبل الهجرة النبوية الشريفة بثمانية عشر عاماً، وخمس وثلاثين سنة من مولد الرسول ﷺ تعرضت مكة إلى حريق مدمر تزامن مع سيل عرم نال من الكعبة المشرفة، وزاد

(١) عن تاريخ الحجر الأسود انظر: بكداش. فضل الحجر الأسود، المرجع السابق، ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) انظر: عبد الغني. المرجع السابق، ص ٤٦ وما بعدها.

(٣) حسن. المرجع السابق، ج ١، ص ٦٠ وما بعدها، وانظر أيضاً سالم. المرجع السابق، ص ٣١٥-٣١٦.

في وهن حجارته وتصدع جدرانها، مما جعلها آيلة للسقوط. فقامت قريش بهدمها وإعادة بنائها وشارك النبي ﷺ قريشاً وهو شاب في نقل الحجارة^(١).

عندما ارتفع البناء وجاء رفع الحجر الأسود (الأسعد) لوضعه في مكانه من الكعبة المشرفة، اختلف القرشيون فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه (في ركنه الشرقي الجنوبي) وتطور الخلاف حتى وصل الأمر إلى الاحتكام إلى السلاح (الحرب) عندئذ خرج أبو أمية بن المغيرة المخزومي ليعرض عليهم حلاً، بالاحتكام - فيما نشب من صراع بينهم - إلى أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضت قريش رأيه، فكان (بمشيئة الله) أول داخل هو رسول الله ﷺ فلما رآه المختصمون، هتفوا هذا الأمين، هذا محمد وقد رضيناه، فاقترح الرسول ﷺ عليهم - وكان يوم ذاك (كما تقدم) في الخامسة والثلاثين من عمره - بوضع الحجر الأسود في ثوب، وقال عليه السلام: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه، أخذه النبي ﷺ بيده الشريفة، فوضعه في مكانه، ليكون آخر نبي يضعه في موضعه هذا^(٢) وجاء في حديث لابن عباس مرفوعاً: "نزل الحجر الأسود من الجنة" وفي رواية أخرى: "الحجر الأسود من الجنة". وقيل إنه من الأحجار الكريمة، وقيل إنه نوع من النيازك، وأن السبب في تقديسه هو ارتباطه بشيء مقدس، وآية ذلك أن إبراهيم عليه السلام عندما وصل بالبناء إلى الركن الجنوبي، طلب من ابنه إسماعيل عليه السلام أن يأتيه بحجر صلب، فأخذ يبحث في الأرجاء، وإذا بجبريل عليه السلام يهبط من السماء بحجر أسود فحملة إسماعيل عليه السلام

(١) انظر : السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧.

(٢) عن قصة بناء قريش للكعبة وقضية التحكيم في الخلاف الذي نشب بين القرشيين فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود مكانه، انظر : المباركفوري، المرجع السابق، ص ٤٤، ٤٥. كذلك عبد الغني. المرجع السابق، ص ٤٢.

إلى أبيه، وأعلمه بما حدث، فوضعه إبراهيم عليه السلام بالكعبة المشرفة - حيث مكانه حتى الآن - علامة على بداية الطواف حولها - تنفيذاً لأمر ربه^(١).

روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ وقف عند الحجر الأسود فقال: "إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، وقبله" وعندما حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقف عند الحجر وقال: "والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك". وفعل مثله عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢). بعد أن استقر الحجر الأسود في ركنه، بنى عليه القرشيون حتى أتموا البيت في ارتفاع (٤٦، ٨م) أي بزيادة (٣٢، ٤م) عما كان بناه إبراهيم عليه السلام - والآن في ارتفاع (١٤م). وكان القرشيون بعد أن أتموا بناء الكعبة من جديد عشية دعوة النبي ﷺ - الناس إلى الإسلام- نشروا الأصنام والأوثان في مكة، على صور وأشكال مختلفة، حتى قيل إنه كان حول الكعبة أكثر من ثلاث مئة وستين صنماً^(٣).

٤/٢- مفتاح الكعبة وأقفالها :

في هذا اليوم التاريخي سلم النبي ﷺ مفتاح الكعبة إلى سدنتها الأوائل (قبل الفتح) وقال: "خذوها يا بني عبد الدار - وكان أخذ المفتاح ساعته، من عثمان بن أبي طلحة وأخذ السقاية من العباس بن عبد المطلب - خذوها خالدة تالدة، لا

(١) للمزيد عن فضائل الحجر الأسود انظر : بكداش. فضل الحجر الأسود . المرجع السابق، ص ٤١ وما بعدها. انظر كذلك عبد الغني. المرجع السابق، ص ٤٢-٤٥.

(٢) انظر : بكداش. فضل الحجر الأسود ، ص ٥٥ وما بعدها. انظر كذلك عبد الغني. المرجع السابق، ص ٤٤.

(٣) انظر : المباركفوري، ص ٢٤ وما بعدها. انظر : أيضاً سالم. المرجع السابق، ص ٤١٢ وما بعدها. لعل أول من نصب الأصنام حول الكعبة عمرو بن لحي، انظر : السباعي. المرجع السابق، ص ٢٣.

ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله أستاذكم على بيته، فخذوها بأمانة الله، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف^(١).

ومفتاح الكعبة حظي على الدوام بالاحترام والتقدير، وكان منصب السدانة أو الحجابة، في العصور الجاهلية من أشرف المناصب التي يتنافس عليها القرشيون، فهو المنصب الذي يحجب صاحبه الكعبة، ويحمل مفتاحها، ويفتح بابها للناس ويفلقه، ولعل أشهر من تولى أشرف المناصب الرفيعة من سدانة (حجابة) وسقاية ورفادة ... قصي بن كلاب - كما سبق الإشارة إليه - وورثها من بعده أبنائه عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى، ومن أبناء عبد مناف، عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل، وما زالت في أعقابهم إلى اليوم. بالجملة، ظل لمفتاح الكعبة مكانته الخاصة من الأهمية والاحترام الفائق، فمنذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر عني الكثير من خلفاء وسلاطين وأمراء وملوك المسلمين بتطوير وتحديث صناعة أقفال باب الكعبة ومفاتيحها وزخرفتها وتصاميمها بأساليب فنية رائعة. وتجدر الإشارة إلى أن ارتفاع باب الكعبة متران ورُبْع من الأرض، ويوضع سلم للصعود إليه لفتح الكعبة، وهذا يتم عند فتحها للزائرين أو في المناسبات أو الاحتفالات المهمة الكبرى^(٢).

خامساً - توسعة الحرم المكي :

٥/١ - في العهد النبوي والخلفاء الراشدين :

لم يكن للمسجد الحرام في عهد الرسول ﷺ (٥١ ق.هـ / ١١هـ / ٥٧١-٦٣٢م) جدران فكانت البيوت والأزقة مفتوحة عليه تحيط به كالمعصم، متجاوزة مع حدود المطاف الآن، وعندما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-

(١) انظر : المباركفوري. المرجع السابق، ص ٢٨٧. أيضاً انظر : عبد الفني. المرجع السابق، ص ٥٨.

(٢) انظر : عبد الفني. المرجع السابق، ص ٥٨-٥٩، أيضاً سالم. المرجع السابق، ص ٢١٦-٢١٨.

٦٤٤م) قام بأول توسعة في صدر الإسلام، سنة (١٧هـ / ٦٣٨م) من ثم بنى حوله جداراً (سوراً) كان أقل ارتفاعاً من القامة، وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ / ٦٤٤-٦٥٦م) جرت التوسعة الثانية سنة (٢٦هـ / ٦٤٧م) وقد أضاف عثمان رضي الله عنه أروقة للمسجد، فكان أول من اتخذ للمسجد الحرام أروقة^(١).

٥/٢ - في عهد ابن الزبير والخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد :

لا يمكننا في هذا السياق التاريخي أيضاً إغفال الإصلاحات والتوسعات الكبيرة التي أجراها عبد الله بن الزبير (١-٧٣هـ / ٦٢٢-٦٩٢م) في المسجد الحرام والكعبة المشرفة، بعد ما أصاب الكعبة المشرفة من هدم وخراب، نتيجة الصراعات السياسية والحربية في عهد خلافة يزيد (٢٥-٦٤هـ / ٦٤٥-٦٨٣م) خاصة، بعد أن رفض ابن الزبير الاعتراف بخلافة يزيد، وأيده في ذلك أهل الحجاز، وجرى ما جرى من أحداث مؤسفة، نالت من البشر والحجر ولم تتج الكعبة المشرفة من هذه الفتنة الأليمة، فنالها هي الأخرى إصابات هادمة حارقة. لم يجد ابن الزبير إثرها بداً من هدم الكعبة، فشرع بالهدم سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م) حتى وصل إلى أساسها، وأعاد بناءها على (قواعد إبراهيم عليه السلام)^(٢).

عندما باشر ابن الزبير بناء الكعبة أجرى إضافات جديدة عليها بأن جعل بابين للكعبة بدلاً من باب واحد أحدهما في الشمال الشرقي، والآخر في الجنوب الغربي، على مستوى سطح الأرض بدلاً من الأبواب المرتفعة التي يستدعي الصعود

(١) انظر : عبد الغني. المرجع السابق، ص٩٢. للتوسع انظر : مشاهدات ابن جبير في مكة. ابن جبير (محمد بن أحمد الكناني) (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م). رحلة ابن جبير - بيروت : دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٩م. ص١٠٧، وما بعدها.

(٢) انظر : السباعي، المرجع السابق، ص١٢٧-١٢٨. عبد الغني. المرجع السابق، ص٣٤.

إليها وجود درج أو سلم، معتمداً في هذا وغيره، على أحاديث نبوية روتها له خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (ت ٥٨ هـ / ٦٧٨ م) إذ يروي أنها أخبرته بأن رسول الله ﷺ قال لها: "لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة ولأدخلت فيها الحجر، ولجعلت لها باباً شرقاً وباباً غرباً يدخل الناس من أحدهما ويخرج من الآخر، ولألصقت بابها بالأرض، ولزدت ستة أذرع من الحجر في البيت، فإن قريشاً قصرت بهم النفقة لما بنت البيت"^(١). لكن ما لبثت أن تجددت النزاعات مع ابن الزبير في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ / ٦٨٥-٧٠٥ م) الذي كلّف الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥ هـ / ٧١٤ م) القضاء على حركة ابن الزبير المناهضة للبيت الأموي، من ثم إرجاع السيادة الأموية على الحجاز، ونجح الحجاج في مهمته، وقضى على ابن الزبير وأنصاره، ثم شرع الحجاج نفسه سنة (٧٤ هـ / ٦٩٣ م) - بعد استئذان الخليفة عبد الملك - في إرجاع الكعبة إلى ما كانت عليه قبل عمارة ابن الزبير لها. فأخرج منها الزيادة التي كان أدخلها ابن الزبير من الحجر، واكتفى بباب واحد يرفعه عن الأرض كما هي عليه اليوم. تجدر الإشارة إلى أن المؤرخين ذكروا أن الخليفة الأموي عبد الملك - عندما بلغه حديث النبي ﷺ - ندم على سماحه للحجاج بتغيير عمارة ابن الزبير وقال: "وددنا لو تركنا الكعبة وما فعل ابن الزبير بها"^(٢).

(١) انظر : عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، المقدسي مؤرخاً لبلدان العرب من خلال كتابه: (أحسن التقاسيم) في المؤرخ العربي (مجلة) (تاريخية محكمة) تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب - القاهرة، العدد ٧، آذار (مارس) ١٩٩٩ م، ص ٢٣٢-٢٣٣. انظر : كذلك السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ١٢٧-١٢٨. وقارن عبد الخالق أبو محمد، "مكة المكرمة على ضوء بيانات الحق والتاريخ والعلم"، في الحياة (جريدة) في العددين ١٢١٧٤، ١٢١٨٣، ٣ و ١٢ نيسان (إبريل) ١٩٩٩ م، ص ٣٣.

(٢) انظر : السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ١٢٧-١٢٨، أيضاً هورخرونيه. المرجع السابق، ص ٦٥ وما بعدها.

في حقيقة الأمر ظل بناء الكعبة - بعد عمارة ابن الزبير والحجاج - على ما هو عليه حوالي عشرة قرون، بدون تغييرات نوعية، لكن لا يمكن تجاهل ما أجراه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م) بالمسجد الحرام من تجديدات وإضافات كبرى، انحصر معظمها في تكميلات وتجميلات وإصلاحات باهرة، وحسب الخليفة الأموي الوليد أن عهده كان من أبهى عهود الخلافة الأموية وأزهاها تراثاً حياً باقياً في تاريخنا العربي والإسلامي، فحسب الوليد فخراً الولوع بالبناء والعمران، أنه أعاد بناء جامع المدينة (الحرم النبوي الشريف) وشيد الجامع الأموي في دمشق، والمسجد الأقصى في القدس وهو أول من أحدث المستشفيات بالإسلام.. وأعماله العمرانية التي شيدّها وزين بها عاصمة الأمويين دمشق وشتى مدن الدولة وربوعها، تعتبر من روائع وآيات الفن المعماري العربي الإسلامي الأصيل^(١).

٥/٣ - في العهد السعودي :

في الحقيقة، لقي المسجد الحرام والمسجد النبوي في العصور الإسلامية التالية: العباسية والمملوكية والعثمانية كل الاهتمام والرعاية الفائقة، وهو الاهتمام نفسه والرعاية نفسها اللذان شهدهما في العهد السعودي، حيث نال المسجد الحرام منذ العام (١٣٥٦هـ / ١٩٣٦م) عناية عظيمة استثنائية وصلت ذروتها سنة (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) - على نحو غير مسبوق وما زالت ورشة البناء الهائلة - التي تُعرف بمشروع توسعة الحرمين الشريفين- تعمل بلا توقف محققة إنجازات ضخمة تم فيها تجديد شامل للكعبة المشرفة، من تجميل وتزيين وزخرفة وتوسيعات وتحسينات وترميمات

(١) عن إنجازات الأمويين العمرانية خاصة، انظر : محمد طقوش. تاريخ الدولة الأموية - بيروت : دار النفائس، ٢٠٠٥م. ص ١٥٩ وما بعدها وهنا وهناك، أيضاً انظر : أبو محمد. المرجع السابق، ص ٣٣. السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ١٢٨-١٣٠.

وإصلاحات واسعة - داخل الحرم المكي الشريف وخارجه - روعي فيها إبراز الطابع العمراني الأصيل للعمارة العربية الإسلامية بأروع سماتها.

وتتجلى أهم مظاهر توسعة الحرم المكي الشريف من زيادة الطاقة الاستيعابية لزوار المسجد الحرام إلى الضعف. حيث أصبح المسجد يستوعب أكثر من ست مئة ألف مصل، وأصبحت مساحته بعد إضافة مساحة جديدة إلى المبنى الرئيس ١٦٥ ألف متر مسطح بعد أن كانت سابقاً تزيد قليلاً على ٢٩ ألف متر مسطح. تبدأ هذه المساحة من غرب الحرم، بحيث تصبح الإضافة الجديدة متممة لمبنى الحرم، من ثم تحسين الجهات الشرقية والشمالية والغربية المحيطة بالحرم ورصفها بالبلاط من أجل توفير مساحة إضافية تستوعب المزيد من أعداد المصلين المتعاظمة.

وفي إطار هذه التوسعة السعودية تم إزالة جميع المباني القديمة المحيطة بالحرم، مما أتاح توسعة طول المسعى من الداخل ٣٩٤ متراً ونصف المتر وعرضه ٢٠ متراً، كما تم تشييد دور علوي له على ارتفاع ١٢ متراً، وتميز المسعى الجديد بثمانية أبواب رئيسية تشرف على واجهة الشارع العام من جهة الشرق، هذا بالإضافة إلى إقامة سقف مستدير مقبب فوق الصفا، بجواره منارة يصل ارتفاعها إلى ٢٩ متراً، كما جعلت للمسجد ٩ مآذن جديدة^(١).

ونتيجة لتزايد الحجاج كل عام - كون حج البيت ركناً من أركان الإسلام - وفرضاً لمن استطاع إليه سبيلاً، ولاستيعاب تنامي عدد الحجاج الذين فاق عددهم في السنوات الأخيرة الثلاثة ملايين حاجاً، حشدت المملكة كل إمكانياتها من مادية وبشرية لتطوير مشاعر الحج، وتوفير كافة التسهيلات اللازمة لخدمة ضيوف الرحمن، فالمرافق العامة من شبكات مياه الشرب المتطورة والإضاءة الشاملة، وإنشاء

(١) انظر: عبد الغني. المرجع السابق، ص ٩٧. انظر: أيضاً القرعاوي. المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.

دورات المياه الكثيرة، وإقامة شبكة من الطرق والشوارع الفسيحة التي تتخللها الجسور والمعابر والأنفاق الضخمة لتخفيف الازدحام الشديد خلال موسم الحج، ولتنظيم حركة المرور بين مكة والمشاعر المقدسة في عرفة ومنى ومزدلفة، لهو خير شاهد على هذه الإنجازات الكبرى^(١).

٥/٤ - المنبر في المسجد الحرام :

أما المنبر في المسجد الحرام فلم يكن موجوداً، على عهد الرسول ﷺ كذلك في عهد الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) (١١-٤٠هـ / ٦٣٢-٦٦١م) كان خطباء المسجد يقفون على الأرض في وجه الكعبة وفي الحجر (حجر إسماعيل) عليه السلام، بقي الأمر على هذا النحو، إلى عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٨٠م) الذي كان أول من أدخل منبراً في المسجد سنة (٤٤هـ / ٦٦٤م) من ثلاث درجات. وتنافس الخلفاء والسلاطين في عهود الأمويين (٤١-١٣٢هـ / ٦٦٠-٧٥٠م) والعباسيين (١٣٢-٦٥٦هـ / ٧٥٠-١٢٥٨م) والفاطميين (٢٩٧-٥٦٧هـ / ٩٠٩-١١٧١م) والأيوبيين (٥٨٢-٦٥٨هـ / ١١٨٦-١٢٦٠م) والمماليك (٧٥٤-٩٢٣هـ / ١٢٥٣-١٥١٧م) والعثمانيين (٧٠٠-١٣٤٣هـ / ١٣٠٠-١٩٢٤م) على العناية في المسجد الحرام والكعبة المشرفة بالقيام بإضافات وإصلاحات جوهرية فيهما، مع تجديد لعمارة الكعبة غير مرة وكان أيضاً للمملكة العربية السعودية بصمتها في تحديث وتجديد المنبر في بيت الله الحرام^(٢).

(١) انظر : عبد الغني. المرجع السابق، ص ٩٣، ٩٤ وما بعدها. القرعاوي. المرجع السابق، ص ٢٦ - ٣٣. كذلك انظر وقارن موسوعة المعرفة العالمية: ترجمة دار الأهرام بالقاهرة، م ١٤، الناشر دار ترادكسيم، جنيف، د. ت. ص ٢٥٤٥. هيئة التحرير، "مكة تتويج لإنجازات الأمراء منذ زمن النبوة حتى العهد السعودي"، في الوطن (جريدة) العدد ٢٤٢٣، تصدر في مدينة أبها السعودية، ٢٠٠٧/٥/١٩، ص ٣٣.

(٢) الأنصاري. المرجع السابق، ص ٣٢. كذلك انظر أبو محمد. المرجع السابق، ص ٣٣.

سادساً - كسوة الكعبة المشرفة :

٦/١ - من العهد الراشدي إلى نهاية الدولة العثمانية :

في هذا السياق لا يفوتنا الحديث أيضاً عن كسوة الكعبة المشرفة، التي يقال إن إسماعيل عليه السلام أول من كسا الكعبة أثوابها، وظلت كسوتها مستمرة في الجاهلية^(١)، وفي العصور الإسلامية المختلفة حافظ الخلفاء الأولون بدءاً على كسوة الكعبة، على أن أول من ابتكر فكرة عرض الكسوة على هودج (عرف بالمحمل) هي الملكة شجرة الدر (ت ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) زوجة السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وحأكت بعض الأقطار العربية مصر، لتصبح كسوة الكعبة بهذا الأسلوب سنة متبعة سنوياً حتى منتصف القرن (١٢ هـ / ١٩ م) وظل حكام العالم الإسلامي - طوال العهود الإسلامية المختلفة- يتسابقون لنيل هذا الشرف العظيم، حيث كسوا الكعبة بالأقمشة الحريرية ذات الألوان الزاهية من بيضاء وسوداء وحمراء وخضراء وصفراء .. واستمر التنافس على هذا الشرف، الذي حازت مصر فيه - لقرون عدة - قصب السبق في الاستئثار بشرف كسوة الكعبة المشرفة، وحتى سقوط الدولة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٧ هـ / ١٩١٤-١٩١٨ م)^(٢) وخروج مصر العثمانية من عباءتها؛ لتستجد أجواء سياسية قلقة عكرت صفو العلاقات بين مؤسس الدولة السعودية الحديثة المغفور له الملك عبد العزيز (١٣١٩-

(١) ذكر المؤرخون أن أول من كسا الكعبة في الجاهلية، تبع أسعد الحميري، (اليمن) كما ذكروا أن قريشاً كانت تفرض على القبائل ضريبة بقدر ما يطيقون لكسوة الكعبة، من عهد قصي بن كلاب، إلى أن تولى أبو ربيعة بن المغيرة بن مخزوم كسوتها وحده من ماله الخاص سنة بعد سنة، أي سنة هو وجميع قريش تكسوها السنة الأخرى بالتعاقب، انظر : سالم. المرجع السابق، ص ٢١-٢٤. ص ٣١٨-٣١٩؛ عبد الغني، المرجع السابق، ص ٥٩. وقارن هارون. المرجع السابق، ص ٢١-٢٤. (٢) انظر وقارن السباعي. المرجع السابق، ج ١، ص ٤٧٩-٤٨٣.

١٣٧٢هـ / ١٩٠١-١٩٥٣م) والسلطات المصرية، التي توقفت سنة (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) عن إرسال الكسوة^(١).

٦/٢ - كسوة الكعبة المشرفة في العهد السعودي :

نتيجة لتوقف مصر عن إرسال الكسوة، أمر الملك عبد العزيز سنة (١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م) بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة في مكة المكرمة، واستمرت الكسوة تصنع في مكة المكرمة حتى سنة (١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م)، حيث عادت المياه إلى مجاريها بين الحكومة السعودية والحكومة المصرية، بعد أن استجابت الحكومة السعودية لطلب مصر رغبتها استئناف إرسال كسوة الكعبة، ولم يمضِ زمن طويل على تحقيق هذه الرغبة المصرية حتى تغيرت الحالة السياسية مرة أخرى، مما جعل الحكومة السعودية تتخذ قراراً سنة (١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) يعيد العمل في المصنع نفسه - الذي كان توقف خلال هذه المدة عن تصنيع كسوة الكعبة - بعد أن أعيد بناؤه من جديد على أسس تقنية حديثة بعد أن وضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حجر الأساس للمصنع الجديد سنة (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) وكان وقت ذاك نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للداخلية، ثم افتتحه وهو ولي للعهد سنة (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ولم يتوقف المصنع من يومها عن صناعة كسوة الكعبة المشرفة وتجهيزها سنوياً في حلّة قشبية مهيبة لا تضاهي^(٢).

خاتمة البحث :

خلاصة ما تقدم إن هذا غيض من فيض من تاريخ مكة المكرمة المدينة

(١) انظر : المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٨٣-٤٨٤.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن كسوة الكعبة المشرفة: مصنعاها، وصفها، حزامها، ومعلومات أخرى مفيدة عن الكسوة، انظر : عبد الغني. المرجع السابق، ص ٥٩، ٦٠ وما بعدها.

المقدسة المدينة الفاضلة، سيدة المدن والعواصم العالمية، التي تلقى فيها خير عباد الله كلهم محمد ﷺ القرآن الكريم والنور المبين؛ ليكون الدين عند الله هو الإسلام، في ضوء هذه الحقيقة الأزلية، فإن عظمة البيت العتيق - الذي تهوي أفئدة المسلمين إليه، من كل جنس ولون يأتون إليه من كافة أرجاء الدنيا - تتجلى في وحدة المسلمين المؤمنين بالله، المتمثلة في تلبيتهم بنداء واحد لبيك اللهم لبيك...، متراصين في صفوف سواسية كأسنان المشط من طواف القدوم إلى طواف الوداع، لا فرق بين غني وفقير ولا عظيم وحقير ولا عربي وأعجمي، ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ (١).

"وَلَسْتُ أَدْرِي سِوَى الْإِسْلَامِ لِي وَطَنًا

الشَّامُ فِيهِ وَأَرْضُ النَّيْلِ سِيَانُ

وَكُلَّمَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فِي بَلَدٍ

عَدَدْتُ أَرْجَاءَهُ مِنْ لَبِّ أَوْطَانِي"

يكفي الحاج إلى بيت الله الحرام، أن الله عز وجل يغفر له ما تقدم من ذنوبه وأوزاره وخطاياهم. شرط أن لا يرفث ولا يفسق ولا يجادل في الحج، وصدق رسول الله القائل: "من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه." وقال ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (٢).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣).

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

(٢) للتفاصيل انظر : الديرشوي. فضائل مكة، المرجع السابق، ص ١٦١ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٥٥ .

المصادر والمراجع

- ١ - ابن جبير ، محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) . رحلة ابن جبير - بيروت : دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٩م.
- ٢ - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) . فضائل القدس؛ تحقيق جبرائيل جبور - بيروت : دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م.
- ٣ - ابن حزم ، علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) . جمهرة أنساب العرب - بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.
- ٤ - ابن قدامة، موفق أبو محمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) . التبيين في أنساب القرشيين؛ تحقيق محمد الدليمي - ط ٢ - بيروت : عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، ١٩٨٨م.
- ٥ - الأزرقي، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ / ٨٥٤م) . في كتابه أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار؛ تحقيق رشدي ملحس، ج ١ - ط ٨ - مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٩٩٦م.
- ٦ - الأنصاري، محمد . "مكة المكرمة وعمارة المسجد الحرام"، في الحياة (جريدة) العدد ١٣٤٥٢، كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠م.
- ٧ - الباشا، حسن . موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية - بيروت : دار أوراق شرقية؛ القاهرة : ومكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٩م.
- ٨ - بكداش، سائد . فضائل ماء زمزم - وذكر تاريخه وأسمائه وخصائصه وبركاته ونية شربه وأحكامه والاستشفاء به وجملة من الأشعار في مدحه - ط ٩ - بيروت : دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤م.
- ٩ - بكداش، سائد . فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام - وذكر تاريخهما وأحكامهما الفقهية وما يتعلق بها - ط ٥ - بيروت : دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٣م.
- ١٠ - حسن، إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام - السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - ط ٧ - القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩م.
- ١١ - الحموي، ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) . معجم البلدان؛ تحقيق فريد الجندي - بيروت : دار الكتب العلمية، د. ت.

- ١٢- الحميد، عبد اللطيف. "مكة المكرمة والثقافة الإسلامية"، في الدرعية (مجلة) (علمية تاريخية محكمة) العددان، ٢٤، ٢٥، الرياض، تموز (يوليو) وتشيرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٦م.
- ١٣- الديرشوي، عبد الله. "الخصائص الكبرى لمكة المكرمة"، في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (مجلة) (علمية محكمة) عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، لعام (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
- ١٤- الديرشوي، عبد الله. فضائل مكة المكرمة، في مجلة الحكمة، (مجلة) (علمية شرعية محكمة) العدد ٣٢، مانشستر (إنجلترا) ٢٠٠٦م. بالإمكان مراسلة المجلة على ص. ب ٦٦٠٤، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ١٥- رضا، محمد رشيد . خلاصة السيرة المحمدية - وحقيقة الدعوة الإسلامية وكليات الدين وحكمه - ط ٢ - دمشق ، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٩٨١م.
- ١٦- الزركلي، خير الدين . الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - ط ٤ - بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.
- ١٧- سالم، السيد عبد العزيز. تاريخ العرب قبل الإسلام - الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة، د. ت.
- ١٨- السباعي، أحمد . تاريخ مكة - دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران - في جزأين - مكة المكرمة ، الرياض : مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٩٨٤م.
- ١٩- السنيدي، عبد الرحمن. "رؤية النبي ﷺ لمستقبل دعوته أثناء العهد المكي"، في الدرعية (مجلة) (علمية تاريخية محكمة) العددان، ٢٤، ٢٥، الرياض، تموز (يوليو) وتشيرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٦م.
- ٢٠- الشامي، صلاح الدين. وزين عبد المقصود . جغرافية العالم الإسلامي - الإسكندرية : منشأة المعارف، ١٩٧٤م.
- ٢١- الطبري، محمد بن جرير (ت ٢١٠هـ / ٩٢٢م) . تفسير الطبري - بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م.
- ٢٢- عبد الفني، محمد. تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً - المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ٢٠٠١م.

- جمادى الآخرة - رمضان ١٤٢٩هـ
يونيو - سبتمبر ٢٠٠٨م